

تفسير ابن كثير

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

يقول تعالى : وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ، (أوحينا إليك قرآنا عربيا) أي : واضحا
جليا بينا ، (لتنذر أم القرى) وهي مكة ، (ومن حولها) أي : من سائر البلاد شرقا
وغربا ، وسميت مكة " أم القرى " ؛ لأنها أشرف من سائر البلاد ، لأدلة كثيرة مذكورة
في مواضعها . ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب
، عن الزهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري
أخبره : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول - وهو واقف بالحزورة في سوق
مكة - : " والله ، إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنني أخرجت
منك ما خرجت " . وهكذا رواية الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث الزهري ،
به وقال الترمذي : حسن صحيح . وقوله : (وتنذر يوم الجمعة) ، وهو يوم القيامة ، يجمع
الله الأولين والآخرين في صعيد واحد . وقوله : (لا ريب فيه) أي : لا شك في وقوعه ،

وأنه كائن لا محالة . وقوله : (فريق في الجنة وفريق في السعير) ، كقوله : (يوم

يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) [التغابن : 9] أي : يغبن أهل الجنة أهل النار ،

وكقوله تعالى : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما تؤخره إلا لأجل معدود

يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) [هود : 103 - 105] . قال الإمام

أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا ليث ، حدثني أبو قبيل المعافري ، عن شفي

الأصبحي ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : خرج علينا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - وفي يده كتابان ، فقال : " أتدرون ما هذان الكتابان ؟ " قال : قلنا

: لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى : " هذا كتاب من رب العالمين ،

بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم - لا يزداد فيهم ولا ينقص

منهم أبدا " ثم قال للذي في يساره : " هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم

وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم - لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا " فقال أصحاب

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فلائي شيء إذا نعمل إن كان هذا أمرا قد فرغ منه ؟

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " سدّدوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له

بعمل الجنة ، وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل النار ، وإن عمل أي عمل " ثم قال بيده فقبضها ، ثم قال : " فرغ ربكم عز وجل من العباد " ثم قال باليمنى فبذ بها فقال : " فريق في الجنة " ، وبذ باليسرى فقال : " فريق في السعير " وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا ، عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر ، كلاهما عن أبي قبيل ، عن شفي بن ماتع الأصبحي ، عن عبد الله بن عمرو ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب . وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر ، عن سعيد بن عثمان ، عن أبي الزاهرية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره بنحوه . وعنده زيادات منها : ثم قال : " فريق في الجنة وفريق في السعير ، عدل من الله عز وجل " . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح - كاتب الليث - عن الليث ، به . ورواه ابن جرير عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي قبيل ، عن شفي ، عن رجل من الصحابة ، فذكره . ثم روي عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح ، عن يحيى بن أبي أسيد ؛ أن أبا فراس حدثه : أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الله لما خلق آدم نفضه نفض المزود ، وأخرج منه كل

ذريته ، فخرج أمثال النخف ، فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شقي وسعيد ، ثم ألقاهما ، ثم قبضهما فقال : (فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وهذا الموقف أشبه بالصواب ، والله أعلم . وقال الإمام أحمد ، رحمه الله : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أخبرنا الجريري ، عن أبي نضرة ، أن رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يقال له : أبو عبد الله - دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي ، فقالوا له : ما يبكيك ؟ ألم يقل لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني " قال : بلى ، ولكن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن الله قبض يمينه قبضة ، وأخرى باليد الأخرى ، قال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالي " فلا أدري في أي القبضتين أنا . وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا ، منها حديث علي ، وابن مسعود ، وعائشة ، وجماعة جمعة .